

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الشجاعة والنظام والتعاون

لحضرة صاحب المعالي محمد عبد الجليل أبو سمرة باشا

وربر فتون

هذه حرب كثيرة المفاجآت ، شديدة الويلات . تمتاز عن جميع الحروب قبلها بأن المخربين فيها هم الجنود في الميدان ، والمسانون من السكان ، لا فرق بين هؤلاء وهؤلاء .

ولهذا ينبغي أن يتوافر في المدنيين كل ما كان يتوافر في الجنود وحدهم في الحروب السابقة لأن هؤلاء المدنيين غير بعيدين في هذه الحرب عن الاصطلاء بنارها . ولست أعني أن يصبح جميع المدنيين جنوداً نظاميين مدربين على الحركات العسكرية والفنون الحربية . ولكن أعني أن يتدربوا بما تتدرع به الجيوش المقاتلة من الصفات ، وأهمها في نظري ثلاث : الشجاعة والنظام والتعاون .

فقد لفت نظري عند وصولي إلى الاسكندرية عقب الغارة الثانية ، ذلك الذعر المستولى على السكان بشكل جعلهم بعيدين عن التحكم في أعصابهم . وهذا الذعر الشديد كان سبباً في فوضى شديدة وعرقلة لأعمال الإنقاذ والمجزة على السواء .

وقد يكون للجماهير التي ساقها الذعر إلى محطة الاسكندرية بالأخوف ، وإلى الطريق الممتد من الاسكندرية إلى كفر الدوار ودمهور بعض العذر في هذا الهلع الشديد بسبب جدّة هذه الحالة على نفوسهم و مفاجأتها لهم .

ولكن الحزم يقتضى أن نوظن نفوسنا على تحمل هذه الحالة بشجاعة ورباطة جأش ، فلا نكرر مأساة الهجرة المتدققة بلا روية ولا نظام ، ولا تعود الاسكندرية أو سواها من المدن التي تتعرض لخطر الغارات إلى حالة الذعر التي شأدها في هذه المرة ، والتي دعت الطبقة العاملة إلى الهرب فشلت الحركة في النفر المصري الأول الذي تتوقف عليه حياة البلاد إلى أمد كبير .

ولقد سبب الذعر الشديد والفوضى التي أعقبته متاعب كبيرة للقائمين على شؤون الإنقاذ وشؤون الهجرة .

فأما أعمال الإنقاذ فقد كانت بطيئة عميرة أول الأمر بسبب مغادرة العمال للمدينة وهم أعصاب الحركة فيها .

كان ذلك أول ما لفت نظري ، ولم تتمكن من تداركه إلا بمضاعفة الأيدي من قوات الجيش المرابط ، ولو بقى عمال المدينة ورجال المقاولين في أعمال الهدم والبلاء ، لكانت المهمة أسهل والإنقاذ أسرع .

وأما أعمال المحجرة فقد تعرضت بسبب الضغط المتزايد والفضي الناشئة من زعر المهاجرين لأضطرابات شديدة ، سواء في ركوب القطارات والسيارات أو في استقبال المهاجرين وإعداد الأماكن المناسبة لهم .

وبذلت السكة الحديدية كما بذلت الخدمة الاجتماعية في وزارة الشؤون الاجتماعية وجمعيات الهلال الأحمر جهودا جبارة في مواجهة حالة الذعر ولفوضى المستولية على المهاجرين حتى استطاعت أن تواجه أسيل الحارث من المهاجرين ، وتمكنهم من السفر والاستقرار في الأماكن التي أعدت لهم . ومع ذلك لم يسلم بعضهم من التعرض للتأعب والأضرار .

ومما لا شك فيه أن هذه المتاعب كانت ثقل كثيرا . لوتذرع الجميع بالشجاعة الواجبة واستمسكوا بالنظام اللائق ، ولم يستسلموا للفرع الذي يذهب بأفكارهم ويشوش أذهانهم ويحطم أعصابهم .

وهاهي ذى لندن وليموث وسواهما من المدن الانجليزية تضرب بالليل والنهار وتعرض لمخاطر هائلة ، ومع ذلك لم نسمع أن العمال الانجليز أو سواهم تملكهم الذعر إلى الحد الذي ينسبهم النظام والتماك و ضبط الأعصاب ، بل تسير الأعمال كلها سيرها العادي حتى توزيع اللبن في الصباح .

نعم إن الاستمدادات الواقية أتم هناك من نظيرها في مصر ، ولكن يجب أن نذكر إلى جانب ذلك عظم المخاطر التي تواجههم والتي لا تقاس اليها هذه الغارات الخفيفة نسبيا على الاسكندرية أو سواها .

على أن هذه التجارب التي صرت بنا أبرزت لنا بعض العيوب في الهجرة غير المنظمة إلى البلاد الداخلية سواء أكانت في الريف أم في المدن .

فأما في الريف فقد اتضح من تجربة العام الماضي أن كثيرين ممن هاجروا إليه عادوا إلى المدن مفضلين خطر القنابل فيها على خطر الأمراض المتوطنة وسواها وخطر المياه الواكدة والأتربة المتصاعدة وكل ما يشكو منه الريف من متاعب .

وأما الهجرة إلى المدن الداخلية في هذا العام فقد اتضح أنها ترهق السكك الحديدية إرهاقا شديدا من جهة ، وتعرض المهاجرين لتأعب شديدة من جهة ثانية ، كما تعرض حياة المدن المهجورة إلى التعطل والتوقف من جهة ثالثة .

قالما بهناق السكت الجديدة فقد كان واضحاً من هجرة الألوفا المؤلفة المتراحة على المحطات فاوقت واحد لولا أن إدارتها بذلت مجهودات عنيفة فى مواجهة هذه الحالة المفاجئة ، ولكرهنا الإزهاق لفس من مصلحة الدولة ولا مصلحة الجمهور بوجه عام .

وأما تعرض المهاجرين للتاعب فىكنفى فى تصوره مشاهدة الألوفا التى كانت تتراحم فى محطات الاسكندرية جند السفر، ومحطات كفرنالدوار ودمهور وطنطا والقاهرة وسواها عند الوصول، ولم تثبت متاعبهم عند هذا الحد ، فان توزعهم فى مدن كثيرة وفى أحياء كثيرة وأما كن شتى ، لضعاف فى هذه الأحياء مهمة الهيئات المشرفة على راحتهم وتوفير الغذاء لهم ووقايتهم من انتشار الأمراض .

وألقى هذا فان عدد المهاجرين يزيد على طاقة المدن التى هاجروا إليها فىسبب ارتفاعا فى أجور المنازل ونفقات المعيشة عليهم وعلى سكان هذه المدن على السواء ويخلق عدم توازن فى توزيع السكان له عواقبه الاقتصادية والاجتماعية .

وأما تعريف حياة المدن المهجورة للتعتل أو التوقف فقد شاهدنا مصداقه فى حركة الأعمال بالاسكندرية بعد الهجرة ، ولولا الأمر السكرى بعودة العمال لأصبحت الاسكندرية والمملكة كلها تفتالها ، باضطراب طويل فى نظام العمل .

وعلاج هذه الحال يكون بإقامة المعسكرات المؤقتة من الخيام والأكياب والعشش تمهيدا لإقامة معسكرات ثابتة بجوار المدن المعرضة لخطر والضواحي التابعة لهذه المدن وترحيل السكان إليها ، فهذا العلاج لا يحرم المدن من عمالها وأصحاب الأعمال فيها لقرب مقرهم فى هذه المعسكرات منها وسهولة وصولهم إليها وعودتهم .

وهو فى الوقت ذاته يضمن للمهاجرين الراحة والصحة ، لانهم لا يزدحمون فى مدن ثانية ولا يتكدسون فى أحيائها زيادة على سكانها ، بل يقيمون فى جهات خلوية تتخلها الشمس والهواء حيث تستطيع السلطات الإدارية والصحية والاجتماعية أن توفر لهم كل وسائل صحة والراحة والتكفل بتفديتهم ، وتمهيمهم من الغلاء المصطنع والاستغلال النهى الذى لا يسلمون آمنه فى المدن المزدحمة .

فمن الواجب الإسراع فى توفير الخيام والعشش والإكياب بزيادة الإنتاج فى الحالة الكبرى ودمياط وسواها من البلاد التى تنتجها تلبية للحاجة الملحة الى إقامة هذه المعسكرات المؤقتة بجوار كل المدن المهذدة بالغازات .

على أن هذه الإجراءات وسواها من الإجراءات التى تتولاها الهيئات الحكومية لا يكفى ما لم يتحل الجمهور بالصفت السابق بيانها وهى الشجاعة والنظام والتعاون .

فأما الشجاعة والنظام فقد أسلفت الحديث عنهما ، وأما التعاون فهو الصفة التي يجب ظهورها و بروزها في ساعات الخطر ، فتمد لا تحتاج الشعوب كثيرا إليها في أيام السلم والطمأنينة . أما حين تواجه الأخطار فهي أحوج ما تكون الى هذه الصفة النافعة .
ومما تظمن اليه النفس أن الخطر ما كاد يواجهنا حتى نهض المفادرون ، وعلى رأسهم شخصيات كريمة ، الى رعاية المنكوبين والترفيه عنهم ومدهم بالمعونة .
ولكنا في حاجة الى المزيد من هذا التعاون ، فان أسماء كثيرة لم يسمع صوتها في هذه الكارثة القومية ، ولم تحرك أيديها بالبذل حين يجب البذل ، وذلك أوانه وهنا فائدته .
إن هذا الخطر يهدد الجميع ، فالتبرع والتعاون واجب اجتماعي ودين يؤديه الناجون للصائين . وقد شاهدت مناظر مروعة لمن ذهب عائلوهم ضحية العدوان أو تحطمت دورهم وضاع متاعهم وباتوا بلا مأوى ولا لباس ولا طعام .
وإن هؤلاء جميعا لدينا في عنق كل قادر على المعونة بالتبرع أو التطوع . وهو دين لهم كما هو دين للاجتماع وللوطن الذي يظل الجميع ، والذي لا يستطيع الصمود للخطر والوقوف للمعاصرة إلا بالتعاون الاجتماعي في هذا الظرف العصيب ما

عبد الجليل أبو سمرة

” وَلَنبَلِّغَنَّكُمْ **بَشِيرًا** مِّنَ **الْخَوْفِ** وَ**الْجُوعِ** وَنَقِصٍ مِّنَ **الْأَمْوَالِ** وَ**الْأَنْفُسِ** وَ**الْثَّمَرَاتِ** وَبَشِيرِ **الصَّابِرِينَ** الَّذِينَ إِذَا **أَصَابَتْهُمُ** مُصِيبَةٌ قَالُوا **إِنَّا** لِلَّهِ **وَإِنَّا** إِلَيْهِ **رَاجِعُونَ** “

(قرآن كريم)